بحوث العمل مقاربة اجرائية للتنمية المهنية للمدرسين

المسوّغات – المنهج – الأهمية – المضامين

د. قندوز أحمد
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

ملخص:

تهدف هذه الورقة الى ابراز دور بحوث العمل كمقاربة منهجية عملية، تقوم على الاستقصاء المنظّم يقوم المدرِّسون هم أنفسهم بدور الباحث فيها– بصورة فردية أو ضمن فريق عمل داخل المدرسة أو على مستوى مقاطعة تربوية– لحلِّ مشكلة مُلِحّة تواجههم في فصولهم الدراسية، أو رغبة في تطوير ممارسة تدريسية، بما يمكِّن من تعديل بنيتهم الذهنية، و تنميتهم مهنيا، و بشكل يستجيب لخصوصيات عمل المدرسين في الميدان، دون أن تُلغيَ هذه المقاربة الحاجة للبحث الأكاديمي في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: بحوث العمل – التنمية المهنية – المدرسين.

Résumé:

Ce document vise à mettre en évidence le rôle des recherches opérationnelles, comme un 'approche méthodologique opérationnelle, basé sur une exploration systématique, les enseignants sont eux-mêmes prennent le rôle de chercheur - individuellement ou au sein d'un groupe de travail au sein de l'école ou sur le niveau d'une Circonscription Pédagogique - pour résoudre un problème pressant face à eux dans leurs classes, ou le désir de développer une pratique d 'enseignement, d'une façon qui conduira à une transformation sur leurs structures mentales et leurs développement professionnel, et à répondre aux particularités du travail des enseignants dans le domaine, sans que cette approche élimine la nécessité pour la recherche universitaire dans ce domaine.

MOTS CLES: Recherches opérationnelles − développement professionnel- Les enseignants**.**

Abstract:

This paper aims to highlight the role of action research as an operational methodological approach, based on a systematic inquiry, the teachers are themselves take the role of researcher - individually or within a working group, within the school or on the level of an educational district, to solve a pressing problem facing them in their classes, or desire to develop a teaching practice, which guide to a transformation on their mental structures, and develop them professionally , and in responding to the peculiarities of the work of teachers in the field, without this approach eliminates the need for academic research in this area.

KEYWORDS: Action Research − Professional development –Teachers.

مقدّمة:

لقد جرى تحول في مجال تدريب المدرّسين، من مفهوم التكوين أثناء الخدمة ، الذي يقوم على اتقان مهارات التدريس، من خلال برامج معدّة سلفا من طرف سلطات مركزية، و التي تهدف عموما الى معالجة جوانب قصور في أداءات المدرّسين، و تتميز بطابع العمومية أكثر من اهتمامها بالمشكلات المحلية التي تخص كل مدرسة همها وضع النظريات موضع التنفيذ في الممارسات، و تُنفّذُ بخبرات خارجة عن المدرسة، يكون مركز الضبط فيها الهيئات القائمة على التدريب فتضع الحوافز المادية و الترقية الوظيفية، و العقوبات التأديبية، الى مفهوم النمو المهني، حيث تلقى الاحتياجات المعرفية و المهارية و الوجدانية الأجتماعية للمدرسين كأفراد اهتماما كبيرا في اطار مفهوم المهنة.

يؤكّد (Joyce) أنّ المدرسين هم مفاتيح عملية التطوير و التحسين التربوي، و يُؤكّد على العلاقة العضوية بين تنميتهم مهنيا و بين نجاح ذلك التطوير، (مدبولي، 2002: 27) و هو ما يؤكّد من ناحية أخرى أنّ ممارسة ذلك التطوير وجعله جزءا من السياق المدرسي، يمثل بيئة مواتية تماما للنمو المهني و داعمة له.

و من ثمّ جاء التفكير في أساليب جديدة، تساعد المدرسين على فهم و حل مشكلات ممارساتهم اليومية، و لا يتم ذلك بمعزل عن جملة من المتغيرات النفسية و الاجتماعية و التربوية، للبيئة المدرسية و شكّلت بحوث العمل أحد تلك الأساليب التي تم الاهتداء اليها، فهي حسب (Hine,2013: 152 نقلا عن Hewen,1996; Osterman& Kottkamp,1993;Tomlinson,1995) تُربط بالنمو المهني للأساتذة، كما يقول عنها (Hendricks) بأنها أداة قوية لدراسة و تحسين ممارسة الأفراد(Ary; Jacobs;Sorenson;Razavieh,2010:512).ذلك إذا توفر المناخ الإداري و الإشرافي الحافز لإجرائها و الأخذ بنتائجها و وضعها موضع الفعل.

1-تعريف بحوث العمل ومجالات تطبيقها في االتدريس

بحوث العمل، البحوث العملية، بحوث الفعل، البحوث الإجرائية، بحوث الممارسين، هي ترجمات عربية للعبارة الواردة باللغة الانجليزية (Action Research).

و من الناحية التاريخية كان فرانسيس بيكون(1561_1626) قد دعا الى ايجاد طريقة جديدة للمعرفة، و كان يعتقد أنّه يتوجب على المفكرين تحرير أنفسهم من قبول قضايا تفرضها المرجعيات كحقيقة مطلقة. (Ary,et al;2010:5). و جاء هذا الرأي في ذلك العصر، في مَعْرِض نقده لقبول الأفكار جاهزة، دون تمحيصها و التسليم بها كحقائق نهائية.

و في النصف الأول من القرن العشرين، أهتّم "كورت لوين" kurt lewin(1890_1947) و هو عالم نفس اجتماعي، بكيفية استطاعة الافراد تعلّم كيفية تقوية أنفسهم لتحسين وضعيتهم. (Waterman;Tillen;Dickson;de konine, 2001: 1).

و في ميدان التدريس يُعرّف بحث العمل بأنه ذلك البحث الذي يُبْنى من طرف واحد أو مجموعة أفراد أو مجموعات، بغرض حل مشكلة أو الحصول على معلومات لتحيين الممارسة المحلية. و يُطلق على تلك البحوث بحوث الممارسين، و يهدف هؤلاء الذين يشتركون في بحوث العمل عموما الى حل بعض أنماط المشكلات اليومية، ككيفية تقليل الغياب أو أحداث تخريب الممتلكات لدى الطلاب وإثارة دافعيتهم. (Fraenkel&Wallen; 2009:589).

بحث العمل طريقة منظمة في الاستقصاء يقوم بها المدرس الباحث، ناظر المدرسة، أو المرشدون المدرسيون أو غيرهم من العاملين في بيئات تعليمية، و ذلك بغرض جمع بيانات حول طرق التدريس و مستوى التدريس و مستوى تحصيل الطلبة. و الغرض من جمع هذه البيانات إحداث تغييرات إيجابية في البيئة المدرسية و الممارسات التربوية بشكل عام، و تحسين مخرجات التعلم لدى الطلبة. (أبو علاّم، 2013: 363). و يوضح (Ary,et al;,2010:520) موضوعات بحوث العمل في المدرسة فيُصنّفها الى خمسة أنماط من المشكلات :

(أ) مشكلات تظهر من الرغبة في تحسين تعلّم التلاميذ،(**ب**)_مشكلات تنبع من الرغبة في تحسين المنهاج الدراسي،(**ج**)_ تكييف استراتجيات التعليم و التقويم،(**د**)_مشكلات تنبع من الرغبة في النمو المهني الشخصي للمدرس، من خلال تحليل المعتقدات الشخصية أو أسلوب التدريس، و فهم ما الذي يؤثر في نمو ممارسة المدرّس،(**ه**)_ مشكلات تتعلق بقضايا المدرسة بمفهومها الواسع أو في السياق الاجتماعي كنمو البرنامج العريض للمدرسة، و طرق انخراط العائلات و أفراد المجتمع في المدرسة.

تأسيسا على التعاريف السابقة، لبحوث العمل والموضوعات التي تتناولها بالدراسة يتضح أنّها:

– بحوث يقوم بها أصحاب الحاجة اليها من الممارسين و هم المدرسون و المشرفون التربويون (المفتشون) يبحثون في قضايا و موضوعات تمثّل اهتماما شخصيا لهم في مهنتهم، سواء كانوا أفرادا أو مجموعات.

– تتم باستخدام خطوات منهجية، بدءا بتحديد مشكلة، و جمع البيانات الخاصة بها، و القيام بفعل لإحداث تغييرات ايجابية في الوضعية.

–لا تستهدف تحسين الممارسات التدريسية فقط، فهي تتعدّاها الى جوانب اجتماعية و وجدانية أيضا متعلقة بالمدرسين، بما يُؤدّى الى التنمية المهنية الشاملة للمدرس.

2–مسوّغات بحوث العمل في ميدان التدريس:

يرى(Gay) أنّ قيمة البحوث الفعلية العملية لا ترقى الى قيمة البحوث العادية في التقدم العلمي الحقيقي، لأنّ التقدم الحقيقي يتطلب تطوير نظريات صحيحة لها مضامينها في العديد من قاعات الدراسة، و ليس مجرد فصل أو فصلين فقط، و أنّ نظرية صحيحة واحدة تحتوي على عشرة مبادئ من مبادئ التعلّم قد تلغي الحاجة الى القيام بمئات البحوث الفعلية العملية(أبو علّام، 2013: 366).

إنّ الخلاف ليس مبنيا على الخصائص التي تميز بين بحوث العمل و البحوث التقليدية فذلك أمر قائم بالفعل باعتبار مميزات كم منهما، لكن المشكلة هي في تلك النظرة الهيراركية (التراتبية) الى البحوث العلمية حسب ما ينقل (مدبولي، 2002: 128نقلا عن Burnarford) إذ تكون البحوث الأكاديمية أولا، ثم البحوث الإجرائية، هي المسئولة عن الصعوبات التي تواجه بحوث الفعل في المدرسة، و هي التي تجعل الشراكة بين المدارس و بين الجامعات غير متكافئة في كثير من الأحيان.

لقد أدّى ذلك الى الاهتمام بالمعارف التي تتميز بالعمومية و الثبات و وضع قيود على نوعية المعارف المعتمدة على نتائج بحوث العمل،الى إُلحاق الضرر بهذه البحوث التى تُجرى في المدارس باعتبار معارفها تتسم بالنسبية ذلك أنّ اخضاع الممارسة التدريسية كليّا الى البحوث الأكاديمية، يعزلها عن واقع الممارسة الحقيقية، و من جهة أخرى رَهْن دور المدرس كممارس مهني ليظل دوره محصورا بتنفيذ المنهاج الدراسي دون أي اجتهاد، و انتظار ما تزوده به البحوث الأكاديمية المحكومة بجملة معايير موحدة يعتمدها نظام تربوي مُمَرْكَز، في حين يمكن أن تجمع بحوث العمل بصورة متكاملة بين البحث، و التجديد في نفس الوقت و هذا المعنى لبحوث العمل كما يُلاحظ (Mekay&Marshall;2015:47) موجود في اسمها، فهي تمثل تجاورا بين النظرية و الممارسة. غير أن المقارنة التفضيلية بين النوعين من البحث ليست وجيهة هنا، فكل منهما له أهدافه التي تُحدّد توجهه و مزاياه التي تجعل منه أكثر ملاءمة في الموضوعات التي يقوم بدراستها، و الظروف التي يُستخدم فيها، كما أنّ العلاقة بينهما ليست علاقة انفصال بالضرورة، فبحوث العمل في التربية و التي هي من البحوث التطبيقية، تنطلق كما يرى Ary,et al;2010: (35)من النظرية لكي تساعد في حل المشكلات العملية. و من الجهة الأخرى، فلربّما يعتمد البحث الأساسي على البحث التطبيقي لإتمام صياغاته النظرية. فأية تجربة تعليمية تجري في حجرة الدراسة–على سبيل المثال– قد تساعد في اختبار نظرية تعلم معينة.

ينطلق العمل التدريسي من أهداف تعليمية يُراد تحقيقها على مستوى المتعلّمين، باستخدام عمليات التعلم و التعليم، و يتطلّب ذلك معرفة المدرس مجموعة من المدخلات التربوية التي تتحدّد حسب (صادق، أبو حطب، 1984: 50) بمجموعة البيانات عن الأوضاع الراهنة لسلوك المتعلمين، وتشمل خبرات التلاميذ السابقة في التعيلم و مستوياتهم الارتقائية و اتجاهاتهم و ميولاتهم و دوافعهم.

تناول (توق، عدس، 1984: 19، 20) نفس تلك المدخلات مبرزا المؤثّرات الثقافية و الاجتماعية المؤثرة في التعلّم.

تمثّل تلك المدخلات الاطار العام الذي يعمل من خلاله المدرس، إلّا أنّ المتعلمين و إن كانوا يتشابهون من زوايا كثيرة لكن ليس من جميع الزوايا، و هذا يشير الى الفروق في تلك المدخلات بين الأفراد، المدارس، و الأماكن، التي تمثل خصوصيات في عمل المدرس، يصعب عليه معها اسقاط النظرية عليها بصورتها القياسية، فيجد نفسه في حيرة من أمره، فلا النظرية تسعفه، و لا حلّ بديل لديه لمواجهة الصعوبات التي تواجهه في الواقع، هنا تبرز بحوث العمل كمخرج بالنسبة له.

و من ناحية أخرى تمثّل خصائص المدرس المعرفية، الوجدانية و الاجتماعية، مدخلات تربوية يتوقف عليها التعامل النّاجح مع المدخلات الخاصة بالمتعلمين و من ثم قدرة المدرس على تحقيق الأهداف التربوية، و نمو تلك الخصائص بشكل مستمر و مستقل، يعني النمو المهني الشامل للمدرس و بحوث العمل يمكنها أن تُسهم في هذا الأمر، لأنها تخرج التدريس من صورته النمطية كونه مهارة في الممارسة و الأداء فحسب، الى التنمية المهنية الشاملة للمدرس، إذ لا يمكن إغفال أوجه أخرى تحتاج الى تنمية فالدافعية و الإتجاهات و المعتقدات الشخصية، و الفاعلية الذاتية و الرضا الوظيفي مثلا هي أبعاد وجدانية؛ و الإحساس بالمسئولية الاجتماعية لدى المدرس بطبيعة المهمة التي يقوم بها و التعاون بين الأطراف الداخلية في المدرسة و بينها و بين الشركاء الاجتماعيين للمدرسة و طبيعة المشكلات الإجتماعية في المجتمع المحلّي، هي بعد اجتماعي و ليست الأبعاد الأدائية و الوجدانية الاجتماعية متغيّرات منفصلة عن بعضها البعض، لأنّها أبعاد في الشخصية، فالتدريس عملية تتفاعل فيها الجوانب التقنية و الجوانب الوجدانية و الاجتماعية و في هذا الصدد تُمكّن بحوث العمل بالنظر الى خصائصها من حيث الاستجابة لاحتياجات المدرسين في الموقف التدريسي، و الدّافعية الذاتية التي تكون في هذه الحالة، و الحالة التعاونية بين المدرسين و كافة العاملين بالمدرسة، في انجاز بحوث العمل و اشراك الفاعلين الاجتماعيين تُمكّنُ من تنمية مهنية وجدانية اجتماعية، و أدائية و في سياق ذي صلة بمحاولة تطوير بعض الممارسات التدريسية، تجدر الإشارة الى استراتجية درجت المؤسسات التعليمية في الجزائر على استخدامها بصورة تقليدية، هي الندوات التربوية، التي تُنظّم على مستوى المؤسسات و على مستوى مقاطعات التفتيش أو بين مدرسي المادة في مجالس التنسيق و هي استراتجية تحمل بعض ملامح بحوث العمل، لكنّها أقرب الى معالجة ممارسات في مناسبات منها الى جهد يستهدف التنمية المهنية، كما تفتقر الى تغذية راجعة لمعرفة نتائجها في الواقع، فهي بحاجة الى تأصيل منهجي، لترتقي الى مستوى بحوث العمل و تُثمر، على صعيد النمو المهني المستمر للمدرس.

3-منهجية اجراء بحوث العمل

توجد عدة نماذج منهجية لبحوث العمل، و هي وإن بدت متباينة في تسمية مراحلها أو في عدد تلك المراحل و الأشكال الموضّحة لها من ناحية، فهي لا تختلف في المضمون المنهجي، إذ يُفصّل بعض الباحثين في مراحل بينما يضمّن البعض الآخر أكثر من مرحلة في مرحلة واحدة.

3-1-تحديد مشكلة الدراسة

إنّ العامل الأكثر أهمية في بحوث العمل كما يرى(kemmis & Wilkinson) هو الحاجة الى حل مشكلة عملية، قد تكون واحدة من المشكلات التي تواجهك في ممارستك الخاصة أو في مجتمعك (creswell, 2008: 610).

و المشكلة هنا بهذا المعنى في التدريس، تعني صعوبة يعانيها المدرس في قسمه، غير أنّ رغبة المدرس في تحسين مستوى ممارسته التدريسية بصرف النظر عن وجود تلك الصعوبة أو عدم وجودها هو في صميم بحوث العمل، و ذلك لا يتعارض مع مفهوم المشكلة من الناحية المنهجية، فمن الأسئلة التي تقترحها (Alberta 2000:16) في بحوث العمل: هل تحاول حل مشكلة، أو تنفيذ تغيير، أم القيام بتحسين ممارسة؟

و إذا اسقطنا ذلك على عمل المدرس، فهو يقوم بتحديد مشكلة دراسته انطلاقا من اخضاع تلك المصادر الى استراتجية، **التّأمل:** فيفكر الباحث في وضعيته الخاصة و الأخذ بعين الاعتبار ما الذي يعمل بشكل جيد و ما الذي قد يحتاج الى تحسين، معلومات و التأمل في بيانات موجودة، من خلال الخبرة سواء خبرته الشخصية أو خبرة الأشخاص الذين تُأخذ آراؤُهم من خلال المقابلات و الاستبيانات أو تُعرف اتجاهاتهم بمقاييس الاتجاهات أو المقاييس المقنّنة، و قد تكون البيانات عبارة عن تسجيلات سمعية أو بصرية أو سمعية بصرية، أو وثائق ككتب النصوص و المناهج. و يتم التأمل بصورة فردية و (أو) جماعية، اذ يحتفظ الباحث بصحيفة يومية للتأمل الشخصي، و تخصيص وقت يومي لمراجعة ما كُتِب من ملاحظات و التساؤل كما ترى (Ferguson, 2011: 12) عن الأفعال التي عليه القيام بها لتحسين العمل الذي يقوم به، و هي نظرة تختلف عن وجهة النظر التقليدية للتربية المهنية والتي تتخذ شكل التدريب. و يدخل ذلك في سياق التقويم الذاتي الذي لا يُغني عنه حسب(عاقل، 1981 :515) الأجهزة و الأشخاص الذين يرصدون عمل المدرّس.أو بصورة جماعية ببناء حوار تأملي عندما يتحدث الأساتذة لبعضهم البعض عن اهتماماتهم وجها لوجه أو باستخدام التكنولوجيا في أنشطة التأمل التعاوني بحيث يمكن تسجيلها و استرجاعها و مراجعتها. و من الاستراتجيات المستخدمة في رصد مشكلات بحثية، **العصف الذهني:** يقوم الباحث فيها بتسجيل أية موضوعات ذات أهمية ترد الى الذهن أو الحديث الى الآخرين حول بعض هذه الموضوعات لتنمية تلك القائمة، و يُقابل ذلك قائمة أسئلة خاصة بكل موضوع، على أن يقوم بتحديد بؤرة أو مشكلة بصياغة اسئلة خاصة بالبحث، و تُمثّل هذه الأسئلة أجرأة للمشكلة.

و يعتبر(Rust&clark,2015:6) أنّ الجزء الأصعب في تصميم دراسة بحوث العمل، هو وضع سؤال جيد كإطار مرجعي و يُشدّدان على وجوب تجنب الأسئلة التي يمكن الإجابة عنها ب "نعم" أو "لا"، و تلك التي تعرف الإجابة عنها مسبقا، كما يجب أن يقودك السؤال باتجاه فعل أو عمل يمكنك القيام به في حجرة الدرس، أي أنّه سؤال قابل للبحث. و يقترح (Casbon&Walters;2004:5-6) أن يتمّ في هذه المرحلة معرفة الباحث الوضعية التي يوجد فيها و ما الذي يريد انجازه، ثمّ ضبط أهداف دقيقة، و الإعلان عن الإشارات الدّالة على النجاح في تحقيق تلك الأهداف.

3-2-جمع البيانات:

يمكن اعتبار طبيعة مشكلة الدراسة في بحوث العمل هي التي تُحدِّد منهج البحث الذي يتفق معها إذ لا تخضع هذه البحوث لنموذج بعينه من نماذج البحث العلمي، فقد يستخدم منهجا من المناهج الكمية أو منهجا من المناهج الكيفية، بل قد يمزج بين كليهما في دراسة واحدة، إذا كان بمقدور الباحث القيام بذلك، و لعل ذلك يزيد من صدقية نتائج الدراسة، و ليس كما يزعم بعض الباحثين الكيفيين أنّ البحث العملي يعني فقط جمع بيانات كيفية. إلاّ أنّ البحث العملي قد يجمع بيانات كمية كما يجمع بيانات كيفية.(أبو علاّم، 2013: 366).

و تأسيسا على ذلك يتم جمع بيانات الدراسة باستخدام مصادر متعددة و مناسبة للدراسة بتحديد نوع البيانات و وقت و مكان جمعها، مدة جمعها، القائم بجمعها، طريقة تحليل البيانات و نشر النتائج.

و في ما يتعلق بموقع من سيقوم بجمع البيانات يرى (Fraenkel& Wallen ; 2009) امكانية أن يكون الأساتذة إمّا مشاركين فاعلين يُلاحظون ما يقوم به التلاميذ في أثناء تدريسهم، أو غير فاعلين كملاحظة كيف يتفاعل التلاميذ فيما بينهم خلال وقت الدراسة، و أيّا كان الدور المختار فإنّ الفكرة الجيدة هي تسجيل أكبر قدر ممكن من الملاحظات لأخذ أفكار لوصف ما تمّ ملاحظته(Fraenkel& Wallen ; 2009 : 593).

غير أنّ الملاحظة لا تقتصر فقط على ملاحظة التلاميذ إذ تتعداهم الى ملاحظة البنايات و الأثاث و التجهيزات كما أنها تتعدّى الملاحظات العامة الى ملاحظة الانشطة و الأحداث من خلال الزمن، التكرار، المقاطع و المدة، و من جهة أخرى قد تكون الملاحظة غير مباشرة باستخدام وسائل أخرى اقترحها (Ary et al;2010:526-527)من أهمها: **التحقق**، و **الفحص**، يكون التحقق بطرح أسئلة تُوجَّه الى المشاركين للاستجابة بشكل ما، باستخدام مقابلات ذات أسئلة متدرجة، تكون عامة مفتوحة ومن ثمّ التدرج معهم في أسئلة مشتقة من الأسئلة العامة ثُمَّ التخصيص أكثر بطلب أمثلة.

و أمّا الفحص فيكون بالإطلاع على أعمال التلاميذ و نتائج الاختبارات، مخططات اعداد الدروس كتاب التلميذ كتاب المعلم، وسائل التدريس.

3-3-تحليل البيانات و تفسيرها:

تتضمّن هذه الخطوة مراجعة للبيانات التي تمّ جمعها و القيام بتلخيصها وتنظيمها وفق عدة أسس حسب الترتيب الزمني، الأفراد، الأحداث المفتاحية مع ما يقابلها من شروحات.

إنّ المهم في هذه المرحلة كما يرى (Fraenkel& Wallen , 2009 : 594) هو جعل البيانات تُفحص في علاقتها مع حل أسئلة البحث أو المشكلة التي بناها الباحث.

و في تفسير نتائج بحوث العمل يتم الذهاب، الى عملية التّأمل و هي المظهر الأكثر تحديا، يراجع فيها الباحث البيانات و يأخذ بعين الاعتبار عددا من الأسئلة:

هل يمكن القيام بشيئ مختلف في المرة القادمة؟ ماذا تعلمت حول ممارستي؟ هل أجبت عن السؤال؟

هل يجب أن أنظر في أسئلة اضافية؟ هل جمعت البيانات الصحيحة للاجابة عن السؤال؟ هل هناك أشياء أخرى يجب أن اجمعها في المستقبل؟

و من المهم الإشارة الى إمكانية استعانة الباحث بالزملاء و ذوي الاختصاص لمعرفة كيفية تفسيرهم للبيانات و هذا يساعد الباحث على اعتماد الخطوات المقبلة في مصطلحات عملية، كما أنّه يزوده بعقلانية في بناء خطة عمل.

3-4-تطوير خطة عمل:

يقترح(Freire) أن تُطرح بحوث العمل على الأفراد كمشكلة تتحداهم وتتطلب استجابة ليس على مستوى ذهني فحسب، لكن على مستوى الفعل.(Reason;2006:188).

لذلك فإن الخطوة التي تتبع تحليل و تفسير البيانات، هي المرور الى تجريب الحل المحتمل للمشكلة مع تحديد الخيارات لأنّ من خصائص بحوث العمل كما ترى(Reason;2006:187) هو أنّها مليئة بالخيارات وعلى الباحث أن يكون واعيا بالخيارات التي يتخذها وكذا نتائجها. و قد يساعد الباحثَ طرحُ أسئلة مثل: ماذا ستفعل بشكل مختلف؟ هل هناك شيئ يحتاج الى تغيير؟ وقبل التصرف لابد من تطوير خطة عمل للقيام بعمل على أساس نتائج الدراسة التي تزود بإلماعات أو استبصارات لتغيير الممارسات، و تحديد و تخصيص من سيجرب المهمات، و تحديد الاطار الزمني لنهاية المهمة، حساب التكاليف، و التجهيزات.

تتحدد في الخطة الأعمال حسب الأولويات، الأهمية، وضع قائمة بالأهداف المطلوبة و يمكن تطوير خطة العمل على عدّة مستويات، على مستوى الفرد ، أو على مستوى المدرسة، أو على مستوى تنظيمي أوسع.

و من الأهمية بمكان، أخذ آراء الزملاء في ما قام به الباحث(المدرس) و استخدام ما سمّاه(Ferguson; 2011:30-33) الأصدقاء النّاقدون، اذ لا يكفي أن تحكم على عملك بمفردك فحسب فأنت بحاجة الى انتقاد الآخرين الذين يُعَدُّون شركاء التعلم، ذلك يجعلك تنظر الى عملك في ضوء جديد فتُغير طريقة عملك في ضوء ادراكاتهم، و الاتفاق الجماعي حول ما سيتم تعديله، يساعدكم جميعا على فهم الوضعية أكثر، فتتعلم من الزملاء و يتعلمون هم أنفسهم منك و ربما يقررون تجريب، أشياء لأنفسهم و يدعونك لتصبح صديقهم الناقد و مساعدتهم في تقييم أنفسهم.

3-5-كتابة تقرير البحث:

من المهم للباحثين في هذا المجال نشر النتائج التي يتوصلون اليها على مستوى المدرسة أو تُقدّم في ملتقى، أو ندوة بدعوة زملاء العمل للتحاور معهم عن حول مضامين البحث، فيُسمِعُونهم ما تعلّموه و يستمعون الى ردود أفعالهم، لخطة العمل التي طوروها، و النتائج التي توصلوا اليها، و لا يقتصر التقرير على النتائج المعرفية البحث بل يتناول استكشاف المشاعر كما يرى(أوسترمان، كوتكامب، 2002: 46) التي تمّ استثارتها، لأنّ الأفعال لا تتأثر بمجرد الأفكار بل بالمشاعر كذلك.

و إن كانت النتائج التي توصل اليها الباحث متناقضة مع الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع فهذا يعني حسب (Rust&clark;2015 :15) أنّ الباحث في طريقه الى تشكيل سؤال جديد، لماذا توصلت الى نتائج مختلفة؟ فيصبح لديه شيئ مهم يتحدّث حوله مع الزملاء و الباحثين.

4-أهمية بحوث العمل في التنمية المهنية للمدرسين:

تتزايد أهمية بحوث العمل في التنمية المهنية للمدرسين، إذ توسعت دائرة أدبياتها، بشكل لافت على مستوى النظرية، فصارت كتب مناهج البحث في التربية، تُفْرِد جزءا خاصا ببحوث العمل كمنهج من مناهج البحث فيها و على مستوى الدراسات، التي أجريت في الدول الغربية و المنشورة على بعض المواقع الإليكترونية المتخصصة في نشر هذا النوع من البحوث.

و حسب (Mekay&Marshall;2015 47-50) فإنّ أهمية بحوث العمل تكمن في انتاج معرفة جديدة و استبصارات جديدة كنتيجة لأنشطة الباحث في سعيه الى احداث تحسينات، بإجراء تغييرات في الوضعية المشكلة.

يرى(Sagor) أنّ بحوث العمل يمكنها المساعدة في تمهين التدريس، و تعزيز دافعية الأستاذ و فاعليته و الاستجابة لحاجات مختلف المتعلمين، بالبحث عن حلول للمشكلات، و مساعدة المدارس على تحقيق النجاح. (Ary, etal;2010:538)، و في الواقع لا تُعزّز بحوث العمل دافعية المدرس فقط، بل هي تنطلق منها أصلا، لأنّ الدافعية هنا هي دافعية ذاتية، انطلاقا من احساسهم بملكية تجربتهم، و دون أن يكون قد فُرِض عليهم من قبل الهيئات الوصية.

سر النجاح في مهنة التدريس هو النمو والتعلم باستمرار، و بحوث العمل طريق لمواصلة النمو و التعلّم باعطاء معنى للخبرات الشخصية للمدرسين (Rust&Clark;2015:15).

و يُعدِّد(Fraenkel& Wallen , 2009 : 596)خمسة أوجه لأهمية بحوث العمل في التربية:

(أ)-امكانية اجرائها تقريبا من طرف كل الممارسين، في أي نمط من المدارس، في أي مستوى من المستويات لاستقصاء أي نمط من المشكلات،(**ب**)-تحسين الممارسة التربوية، فهي تساعد الأساتذة و المستشارين والاداريين، أن يكونوا مهنيين أكفاء،(**ج**)-عندما يقوم الاساتذة بتصميم وتنفيذ بحوث العمل الخاصة بهم، فإنّهم يُنمُّون بصورة فعلية طرقا لممارسة مهنتهم، و الأهمية هي أنّ بحوث العمل تُعَدُّ كمصدر غني بالأفكار حول كيفية تغيير و ربمّا اثراء استراتجيات و تقنيات الأستاذ،(**د**)-تُساعد الأساتذة على تحديد مشكلات و قضايا بصورة منتظمة، اذ يقوم الأفراد بتحديد

مشكلة بدقة وتحديد و تجريب طرق بديلة للتعامل مع المشكلة، و تقاسم ما تعلموه مع زملائهم، و في الواقع تُظْهِر بحوث العمل الممارسين يتحررون من القيود المؤسساتية، كما أنها تنمي الثقة بحلّ مشكلات في مكان العمل تبدو أنّها مستعصية ،(ه)–تُمكِّن من انشاء مجموعة بحث مكونة من أفراد داخل المدرسة نفسها، فهي تُمكن من ربط مجموعة من الأفراد للعمل معاً لحل مشكلة أو قضية ذات اهتمام مشترك، و هذا بدوره يُقَلِّل من الشعور بالعزلة لدى الأساتذة.

تناول الكاتبان بعض أوجه النمو الادائية باستخدام طرائق و استراتجيات تدريس، و تنمية أفكار و يحدث ذلك في سياق اجتماعي، من خلال العمل التعاوني بين المدرسين، ممّا يساعد على تعزيز الانتماء الاجتماعي، و زيادة فاعلية التعلم لديهم، و زيادة ثقتهم بأنفسهم.

و تشير (Ferguson; 2011: 13) أنّ بحوث العمل هي وعي بالحاجة الى التقويم الذاتي الذي يظهر ارادة لقبول المسئولية عن التفكير و العمل الخاص بنا.

و الوعي هنا في بحوث العمل يرتبط بعملية التّأمل في الممارسة، التي يقوم بها المدرس في جميع مراحل البحث والتي لها أهمية مركزية في هذا النوع من البحوث، و الممارس المتأمّل يتميز حسب (Derobertmasure;2012:48) بالمسئولية التي يعزوها الى عمله و الخيارات التي ينفذها والنتائج المترتبة عن ذلك الفعل، و الفرد الذى يعزو كما ترى(وولفولك، 2010) نجاحه و فشله الى جهد و قدرة، يمكن التحكّم فيها يمكن لهذه القدرة ان تتحسّن من خلال العمل الجاد.

و هذه (Alberta; 2000 :12) تُؤكِّدُ، أنّ أهمّ مهارة يحتاجها الباحث في بحث العمل هو القدرة على القيام بالتأمل، فكلّ مرحلة تأمل تثمر معلومات أكثر حول الموضوع و تزيد من فهم البحث.

و يُشدّد(Freire& Merzirow) على أنّ قلب كل تعلم يوجد في الطريق الذي يُعالج الخبرة و بصفة خاصة التّأمل الناقد للخبرة، و اعتبرا التعلم دارة تبدأ بالخبرة و تتواصل بالتأمل و تقود لاحقا الى الفعل والذي يصبح نفسه خبرة ملموسة للتأمل.(Krogh;2001). و هي نفس الفكرة التي ناقشها(مدبولي2002 :134) في العلاقة الدائرية بين الممارسة العملية و البحث الإجرائي، التي لا تنتهي بالتوصل الى فهم الظواهر و تعديل الممارسات، بل تؤدي الى مزيد من الممارسة.

و إذا كانت بحوث العمل تستخدم التأمل في الممارسة التدريسية، فهي من ناحية أخرى تُرقّي التدريس و التفكير التأمليين(Hine; 2013:52).

إنّ مفاهيم التقويم الذّاتي، التأمّل في الممارسة، تحمل المسئولية، عزو النجاح و الفشل، مؤشّرات على ممارسة النقد الذّاتي الذي يُعدُّ، حسب (ماكجلكريست، مايرز، ريد، 2012 :201)أحد مميزات المدرسين الراغبين في تحسين ممارستهم.

و تُأكّد بحوث العمل التي أُجريت في ميدان التدريس، أنّها لعبت دورا مهما حسب (Hine,2013:155 نقلا عن Holter&Frebutt,2012;Perret2003) وذلك في التحضير و النمو المهني للأساتذة في مرحلة ما قبل الخدمة، و في أثناء الخدمة، بما يتوافق و الافتراضات النظرية، إذ تمّ تحقيق نتائج ايجابية في تنمية جوانب مختلفة من الممارسة و الأداء لدى المدرسين المستهدفين و تعدّت الى التنمية الوجدانية و الاجتماعية و انعكاس ذلك على جوانب التحصيل و السلوك لدى التلاميذ و من الأهمية، الإشارة الى أن الدراسات السابقة في بحوث العمل، لم تقتصر على المدرّسين في أثناء الخدمة(In-service) ، بل شملت الطلاب المدرسين في مرحلة ما قبل الخدمة (Pre-service) و من بين الدراسات التي تم العثور عليها، دراسة(Browning,et al) التي أوردها(Fraenkel & Wallen; 2009:603) كمثال لأحد بحوث العمل المنشورة في احدى المجلات، و أجريت الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية، في مدّة ثمانية أسابيع، هدفت الى التقليل من العدوان اللفظي و البدني في حل الصراعات بين التلاميذ و زيادة استخدام الحلول

الايجابية في ذلك، و جعلهم قادرين على التعبير عن المشكلة، عن مشاعرهم و استخدام الحل البنّاء ليصبحوا مهيّئين للعيش في المجتمع الواسع بتعلم و استخدام الأشكال البنّاءة لإدارة الصراعات، و تبيّن من النتائج أن العنف اللفظي قد تقلّص من 22 حادثة في الأسبوع الأول الى 4 حوادث في الأسبوع الثامن، كما انخفضت حوادث العنف البدني من بداية الدراسة الى نهايتها بشكل دال، و هناك دراسة (Dabisch,2001) التي قدّمها(أبو علّام، 2013) كمثال تطبيقي لبحوث العمل، حيث هدفت الدراسة، الى معرفة أثر اعادة ترتيب مقاعد الطلّاب في مقرر اللغة الانجليزية في زيادة التعلم التعاوني، و تحسين العمل في القسم، و اتضح من نتائج الدراسة، أنّ التعلم التعاوني يوفر فرصة للطلّاب لمحاكاة اللغة، و يُؤدّي الى تغذية راجعة سريعة و أدت النتائج بالباحثة الى طرح أسئلة جديدة لتُعايشها العام الدراسي المقبل، و من الدراسات التي أُجريت في هذا الميدان أيضا، دراسة(Jiraro, et al; 2014) هدفت الدراسة الى تمكين الأساتذة من تنمية كفاية بناء نماذج الاختبارات و توصلت الدراسة الى تنمية هذه الكفاية و الاهم من ذلك خلق التنمية المستدامة من خلال تعزيز عملية التمكين(Empowerment).

و من الدراسات التي أُجريت في مرحلة ما قبل الخدمة، دراسة(Cabaroglu ; 2014) و هدفت الى الكشف عن أثر بحوث العمل في الاعتقادات عن الفاعلية الذاتية الذاتية لدى المرشحين ليكونوا أساتذة اللغة الانجليزية و صُممت الدراسة لمساعدتهم على فهم و تحسين ممارساتهم الصفية و أظهرت النتائج نمو خبرتهم في فاعلية التدريس و الوعي بالذات، تحسن مهارة حل المشكلات، تعزيز التعلم المستقل، و دراسة(Mooi; et al; 2014) و التي استهدفت تنمية فهم تعلمّ التلاميذ لدى الأساتذة الطلّاب و اختارت الباحثات عينة قصدية مكوّنة من ستة(6) أفراد في برنامج التربية العملية، خلال السنة النهائية بمعهد تربية المعلمين بكوالا لامبور، وبعد تفريغ الاستبيان الذي قُدّم الى أفراد العينة، تبيّن نمو فهمهم حول تعلّم تلاميذهم و الأوجه المتعلّقة بالعوامل المؤثّرة في تعلم التلاميذ، و اقترحوا أنّ الأنشطة التعليمية يجب أن تُصمّم بالأخذ بالحسبان حاجات اهتمامات، قدرات المتعلّمين.

و أكّدت النتائج بقوة أنّ بحوث العمل تُمثّل جانبا مدعّما في برنامج تربية الأساتذة، يمكّن من توفير نمو مهني ممتاز، للأساتذة قبل الخدمة استعدادا للتعامل مع عدّة تحدّيات خلال السنوات المبكّرة للتدريس.

خلاصة و مضامين

لقد تبيّن أنّ هناك دواعي قوية لاستخدام بحوث العمل، و مزايا عديدة تتضمّنُها، و مقوّمات منهجية تُمثّل دعامات للوثوق فيها من طرف الجهات الوصية كأداة للتنمية المهنية للمدرّسين، بشكل مستقل و مستدام، وهذا يدعوها الى إعادة رسم ملمح المدرّس، بما يتفق مع الاتجاهات العالمية الحديثة و الحذو حذو الأنظمة التربوية التي سارت في هذا الاتجاه، و عدم حصر دوره في الدور التدريسي كمنفّذ للمنهاج فحسب، بل توسيعه ليقوم ببحوث في مجاله التدريسي، و ذلك يتطلب ترسيم بحوث العمل نظريا و عمليا، ضمن مناهج التكوين الأولي(قبل الخدمة) للمقبلين على مزاولة التدريس، و تدريب المدرسين الحاليين في أثناء الخدمة عليها، وجعلها جزءاً من الممارسة المهنية المدرسين بشكل مستمر و ليس في مناسبات.

و من المهم التأكيد على التنسيق و التعاون بين الممارسين و المشرفين التربويين(المفتشين) في الميدان و الباحثين الأكاديميين، في الجامعة بما يسمح بالمزاوجة و التكامل بين النظرية و الممارسة.

و من المضامين الموجّهة الى الشركاء الاجتماعيين للمدرسة، هو التواصل مع المدرسة سعيا لتكريس المسئولية الاجتماعية للمدرسة و مدرّسيها، و ينسحب الأمر على المدرسين بحيث عليهم التواصل مع بعضهم و العمل بصورة تعاونية في رصد المشكلات و في دراستها واستخلاص نتائجها و مضامينها، حتى لا تكون ممارساتهم ممارسات معزولة.

المراجع:

أبو علّام، رجاء محمود(2013).مناهج البحث الكمي و النوعي و المختلط، الطبعة الأولى، المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان: دار المسيرة للنشر و التوزيع.

أوسترمان، كارين ف و كوتكامب، روبيرت (2002).الممارسة التأملية للتربويين، مشكلة تحسين مكونات التعليم والحاجة الى حلّها، الطبعة الأولى، ترجمة: منير الحوراني، العين: دار الكتاب الجامعي.

توق، محي الدين و عدس، عبد الرحمن(1984).أساسيات علم النفس التربوي، انجلترا: جون وايلي و أولاده.

صادق، أمال و أبو حطب، فؤاد(1984).علم النفس التربوي، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار الانجلو المصرية.

عاقل، فاخر(1981).علم النفس التربوي، الطبعة السابعة، بيروت: دار العلم للملايين.

ماكجلكريست، باربارا و مايرز، كايت و ريد، جاين(2012).المدرسة الذكية، الطبعة الأولى، ترجمة: محمود، السيد فرحاتي، المملكة الأردنية الهاشمية، عمَّان: دار الفكر.

مدبولي، محمد عبد الخالق(2002).التنمية المهنية للمعلمين، الاتجاهات المعاصرة، المداخل، الاستراتجيات، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحدة، العين: دار الكتاب الجامعي.

وولفولك، أنيتا(2010).علم النفس التربوي، ترجمة :علام، صلاح الدين محمود، الطبعة الأولى، المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان: دار الفكر.

Alberta teachers' Assiciation;(2000)Actioon Research Guide, Retrieved from http://www. google.dz.

Ary,D; Jacobs,L.C;Sorenson,C;Razavieh,A.(2010).Introduction to Research in education.Eighth Edition,USA, Belmont:Wadsworth.

Cabaroglu,N.(2014).Professional development through Action research: Impact on self efficacy. System,44, 79-88. . Retrieved From http://www. Sndl. Cerist,dz.

Casbon,C &Walters,L.(2004).Using an action research model to bring about school improvement through PE and school sport.paper presented at the AARE conference, elbourne, Retrieved from www google.dz

Creswell, J.W.(2012).Educational Research:Planning,Conducting,and Evaluating
Quantitative and Qualitative Research.Fourth Edition, Boston: Person Education.

Derobertmasure, A. (2012). La formation initiale des enseignants et le développement
de la réflexivite? Objectivation du concept et analyse des productions orales etécrites des futur enseignants,Thése pour l'obtention du diplôme de Docteur en sciences psychologique et de l'education, Retrieved From http://www. Sndl. Cerist,dz.

Fraenkel,J.R & Wallen,N.E.(2009).How to Design and Evaluate Research in Education, Seventh Edition, New York: Mc Graw-Hill.

Ferguson, P.B.(2010).Action Research for Professional Development: consice advice
For new action researchers.Retrieved From www.Waikato.ac.nz/tdu

Hine, G.S.C.(2013).The importance of Action Research in teacher Education Programs,Issues in Educational Research,23(2),151-163.

Jirraro,S;Sujiva,S;& Wongwanich,S.(2014).An Application of Action Research For Teachers' Test Construction Competency Development Models. Procedia- Social And Behavioral Sciences, 116, 1263-1267. Retrieved From http://www. Sndl. Cerist,dz.

Krogh, L.(2001).Action Research as Action Learning as Action Research as Action
Learning…..At Multiple levels In Adult Education, Retrieved From http://Lola krogh.com/

Mckay,J;&Marshal,P.(2015)The Dual Imperatives Of Action Research, Retrieved From
http://www. Emerald-Library.com/ft

Reason, P.(June,2006).Choice and Quality in Action Research Practice,Journal Of Management Inquiry,2,187-203.

Rust,F&Clark,C.(2015).How to do Action Research In your Classroom.Retrieved From www.teachersnetwork.org/tnli.

Waterman,H; Tillen,D; Dickson,R;& De konine, k.(2001).Action Research: a system Review and guidance for assessment, health technology assessment (5) 23 1,166. Retrieved from http:// www. google.dz